تجربة التعبئة والتجنيد بالمنطقة الثانية (الشمال القسنطيني) قبل مؤتمر الصومام

1954 –1956

The Experience of Mobilization and Recruitment in the Second Zone (Northern Constantine) Before the Soummam Congress 1954 - 1956

L'expérience de la mobilisation et du recrutement dans la deuxième région (au nord constantinois) avant le Congrès de la Soummam (1954- 1956).

د.سايح سليم[1] *

تاريخ الإرسال: 2025/05/12 تاريخ القبول: 2025/05/30 تاريخ النشر: 2025/12/31

ملخص:

تحاول هذه الدراسة، تتبع تجربة التعبئة والتجنيد في المنطقة الثانية(الشمال القسنطيني) وهي واحدة من المعضلات التي واجهت الثورة في بدايتها(إن لم تكن أولاها) بالنظر إلى إلى الغموض الذي رافق اندلاع الثورة من حيث الجهة التي فجرتها والمجموعة التي تديرها، هذا فضلا عن أن "جبهة التحرير الوطني"، هي مسمى جديد من الأساس في أوساط المناضلين في مختلف التيارات السياسية الجزائرية الناشطة آنذاك والتي لها امتدادات متجذرة في أوساط الجماهير الشعبية خاصة حزب الشعب/ حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، لذلك اتجهت جبهة التحرير الوطني بعد الإعلان على الثورة في الفاتح نوفمبر 1954، إلى الرجوع إلى إنجاح الثورة من الداخل من خلال تنظيم وتعبئة الجماهير الشعبية داخل أطر تنظيمية(وفقا لخصوصيات كل منطقة)، تمكن الثورة من الارتكاز عليها في معركة الكفاح المسلح، وهو ما يفسر توقف العمليات العسكرية تقريبا ضد القوات الفرنسية بعد عمليات الفاتح نوفمبر.

ولعل تميز تجربة التعبئة والتجنيد للجماهير الشعبية في المنطقة الثانية وجدواها إلى الحد الذي جرى تبني فكرة المجالس الشعبية التي في مشروع مؤتمر الصومام(في 20 أوت 1956) لاحقا ، هو ما دعاني لمحاولة الحفر في موضوع التعبئة والتجنيد بالمنطقة الثانية لخصوصية هذه التجربة، في محاولة لتأصيل هذه التجربة كواحدة من الطرق والأساليب التي ابتكرتها الثورة التحريرية في معركة التحرير الوطني ضد الاستعمار الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: الثورة التحريرية؛ المنطقة الثانية؛الجماهير الشعبية؛ التعبئة؛ التجنيد؛الاستعمار.

Abstract :

This study seeks to trace the experience of mobilization and recruitment in the Second Zone (Northern Constantine), which constituted one of the most pressing challenges the Algerian Revolution faced in its early stages—if not the foremost one. This was largely due to the ambiguity surrounding the outbreak of the revolution, particularly regarding the group that launched it and the leadership managing it. Moreover, the "National Liberation Front" (FLN) was a new entity unfamiliar to many militants belonging to the various active Algerian political movements at the time, most notably the PPA/MTLD (People's Party of Algeria/Movement for the Triumph of Democratic Liberties), which had deep roots among the popular masses.

*المؤلف المراسل

[1]Dr. Salim Sayah, Department of History, University of Constantine 2, Algeria, salim.sayah@yahoo.com

After declaring the revolution on November 1, 1954, the FLN sought to strengthen the revolutionary movement from within by organizing and mobilizing the popular masses within structured frameworks, adapted to the particularities of each region. These efforts aimed to provide the revolution with a solid internal base to sustain the armed struggle. This strategic redirection helps explain the near cessation of military operations against French forces following the initial attacks of November 1.

What makes the experience of mobilization and recruitment in the Second Zone particularly distinctive and effective is the later adoption of the idea of popular councils in the Soummam Congress project (August 20, 1956). This significance motivated me to explore this region's unique experience as a foundational model—one of the innovative methods developed by the Algerian Revolution in its national liberation struggle against French colonialism.
Keywords: The Liberation Revolution ; The Second Zone ; The Popular Masses ; Mobilization ; Recruitment ; Colonialism

Résumé :

Cette étude vise à retracer l'expérience de la mobilisation et du recrutement dans la deuxième région (Nord Constantinois), qui a constitué l'un des défis majeurs rencontrés par la Révolution algérienne à ses débuts-sinon le principal. Cela s'explique en grande partie par le flou qui a entouré le déclenchement de la révolution, tant du point de vue du groupe qui en était à l'origine que de celui de la direction qui la gérait. De plus, le Front de Libération Nationale (FLN) était une entité nouvelle et peu connue parmi les militants des divers courants politiques algériens actifs à l'époque, notamment le PPA/MTLD (Parti du Peuple Algérien/Mouvement pour le Triomphe des Libertés Démocratiques), très enraciné dans les masses populaires.

Après le déclenchement de la révolution le 1er novembre 1954, le FLN a cherché à renforcer la révolution de l'intérieur, en organisant et en mobilisant les masses populaires dans des cadres structurés, adaptés aux spécificités de chaque région. Cette stratégie visait à doter la lutte armée d'une base populaire solide. Cela explique en partie l'arrêt quasi-total des opérations militaires contre les forces françaises après les attaques du 1er novembre.

Ce qui distingue particulièrement l'expérience de la mobilisation et du recrutement dans la deuxième région, c'est son efficacité, au point que l'idée des conseils populaires, intégrée par la suite dans le projet du Congrès de la Soummam (20 août 1956), s'en est inspirée. C'est cette spécificité qui m'a poussé à approfondir cette expérience, afin de la considérer comme l'un des modèles et des procédés innovants mis en œuvre par la révolution dans le cadre de la lutte pour l'indépendance nationale contre le colonialisme français.

Mots clés : La Révolution de libération ; La Deuxième Zone ; Les Masses populaires ; La Mobilisation ; Le Recrutement Le Colonialisme.

تمهيد:

شكل الشمال القسنطيني، المنطقة الثانية في التقسيم الإقليمي للتراب الوطني الذي أقرته الثورة في الفاتح نوفمبر 1954 منذ البداية، أهمية بالغة للثورة التحريرية بالنظر إلى طابعه الجغرافي المحصن، وإلى موقعه الإستراتيجي الذي يتيح للثورة، الانفتاح بسلاسة، على قواعد الدعم الخارجية في العالمين العربي والمعسكر الاشتراكي. يمتد الشمال القسنطيني، في الشمال الشرقي للجزائر، من عنابة حتى باب بحر (بأم الطبول)، وصولا إلى سوق أهراس حتى حدود سدراتة في الجنوب الشرقي، وقالمة في الشمال الغربي.(عبد الحميد، 1993، صفحة 54).

وتعد منطقة الشمال القسنطيني، من أكثر المناطق التي تبنت فكرة الكفاح المسلح والثورة التحريرية، على الرغم من البنية الريفية لسكانها، وارتفاع نسبة الأمية في أوساط الجماهير الشعبية (التي تتجاوز الـ 95%).(آمال ، 2005-2006، صفحة 374)،وفضلا عن موقعها الجغرافي، فقد لعبت الطبيعة الجغرافية، في جعل الشمال القسنطيني، بوابة الثورة نحو الخارج، وجسرا لتموين الداخل بالأسلحة والذخائر.(آمال ، 2005-2006، صفحة 54).

وعلى الرغم من أن انطلاقة الثورة بالشمال القسنطيني، لم تكن بالمستوى الذي كانت عليه الأوراس (لم تكن المنطقة الثانية تحصي ليلة الفاتح نوفمبر 1954، سوى 200 مناضل موزعين على كامل المنطقة) إلا أنها سجلت العديد من الهجومات والكمائن التي استهدفت مختلف المنشآت الاستعمارية، كالمراكز الأمنية والإدارية والاقتصادية، كالهجوم الذي قاده قائد المنطقة ديدوش مراد على مركز جندرمة السنمدو (زيغود يوسف حاليا)، والهجوم على مستودع المحروقات بالخروب، وعمليات الحرق والتخريب التي استهدفت مزارع المعمرين، وأعمدة الكهرباء والهاتف وتجريد مجموعة من الجنود الفرنسيين من أسلحتهم في سان شارل (رمضان جمال حاليا).(رابح ، 2012، الصفحات 22-26)

1-أولوية تجذير الثورة في الأوساط الشعبية:

بعد عمليات الفاتح نوفمبر 1954، كان على قيادات المناطق الذهاب بسرعة إلى إيجاد صيغ تنظيمية تسمح بتأطير وتعبئة الجماهير الشعبية، ودفعها إلى الالتفاف حول الثورة من جهة، ولاستقطاب وتنظيم أعداد الراغبين في التطوع للعمل الثوري التي بدأت تتزايد مع مرور الأشهر من جهة أخرى.

لكن هذه المهمة، كانت تضع أيضا جبهة التحرير الوطني أمام تحد آخر وهو التعريف بالثورة أولا كون غالبية الجماهير الشعبية، كانت تجهل طبيعة هذه الثورة، وكانت الأسئلة من قبيل: من هم مفجروها؟ من هي الجهة التي تديرها؟ في الداخل أم في الخارج؟ وما هي إمكانيات هذه الثورة؟ ما تزال بدون أجوبة، وحتى وإن لم يكن السكان يقدرون على الجهر بها، فإنها كانت تقرأ على شفاه الكثير منهم.

والحقيقة، أن هذا الشعور، لم يكن وليد هذه الفترة، فالقادة الذين عكفوا على التحضر لتفجير الثورة، كانوا على وعي بهذه المشكلة. من ذلك، أن كريم بلقاسم قد أكد قبل اندلاع الثورة التحريرية، على دور الدعاية في مواجهة حالة عدم التوازن في القوى بين الثورة التي سوف يعلن عنها، وبين الاحتلال الفرنسي، بالقول إن: "إمكاناتنا ليست قوية، يجب تعويض هذا النقص في الإمكانيات، بالأهداف المهمة (...) العمل النفسي يوم التمرد، سيكون هو الأكثر أهمية".(CDEF, p. 14).

كانت البداية بتوجه جبهة التحرير الوطني، نحو خلق قطيعة بين الشعب الجزائري والإدارة الإستعمارية خاصة في الأرياف(التي ارتكزت عليها الثورة في بدايتها) في من خلال إعادة تنظيم الجماهير الشعبية في أطر وتنظيمات الثورة المستحدثة. وقد انصب المجهود الثوري في هذه الفترة، على العمل الدعائي في القرى والمداشر، ودفع غلاة المعمرين إلى مغادرة مزارهم وضيعاتهم واللجوء إلى المدن. كما أنذرت المتعاونين مع الإدارة الاستعمارية من الجزائريين وقد جرى إعدام من لم يمتثل لأوامر جبهة التحرير(المجاهد، 1957، صفحة 03)، في تأكيد واضح على صرامة الثورة. وقد طالبت جبهة

التحرير الوطني باسم "النظام" سكان الأرياف، بالتوقف بالكف عن التعامل مع مختلف هيئات الإدارة الاستعمارية، والعودة إلى تسوية قضاياهم إلى تنظيمات وهيئات إدارة الثورة التي جرى بعثها في قراهم ودواويرهم.(الجنيدي و آخرون، 1986، صفحة 251) و(مجموعة مؤلفين، صفحة 56).

2-تعبئة وتجنيد الجماهير الشعبية في بالمنطقة الثانية في بداية الثورة:

من جهة أخرى، كان على قيادة المنطقة الثانية والثورة عموما، تفكيك النظام الإداري الاستعماري في الجزائر الذي كان عشية اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، قد أصبح نظام حكم استبدادي أحكم فيه المعمرون الأوروبيين، سطوتهم على السكان الجزائريين بواسطة شيوخ البلديات والمجالس التي يختارون أعضاءها، والجمعيات، التي يسخرونها لمصالحهم الخاصة على حساب الجزائريين الذي أمعنوا في إفقارهم وإذلالهم. فشيخ البلدية الذي ينتخبه المعمرون الأوروبيون، هو من يضع القوانين، ويحدد الضرائب، ويشرف على البوليس والجندرمة، ومصالح الغابات والتجارة والفلاحة، وأجور العمال.أما الجزائريون، فكانوا فريسة لحكم المعمرين وأعوانهم من قواد، وحراس جماعات الأحواز في البوادي الذين زادوا في تعميم الظلم والاضطهاد في حق أبناء جلدتهم، إرضاء لموكليهم المعمرين. كان أول أهداف الثورة في البداية، هو تحطيم هذا النظام والقضاء على أعوانه وإتلاف مراكزهم(المجاهد، 1957، صفحة 03)، لذلك ألح بيان الثورة الذي وزع في الفاتح نوفمبر 1954، على ضرورة " تصفية النظام الاستعماري"، وإعادة بعث الدولة الجزائرية التي كانت موجودة قبل سنة 1830(جوان ، 1996، صفحة 137)، وهذا لن يتأتى إلا بتوحيد صفوف الجماهير الشعبية وتعبئة كل الطاقات الحية فيها، داخل جبهة التحرير الوطني لخوض الكفاح المسلح الذي لا بديل عنه لاسترجاع السيادة الوطنية وتحقيق الاستقلال الوطني(أحسن ، صفحة 38، 39، 49.)، من خلال دعوة الجماهير الشعبية إلى الانخراط في الثورة بالصفة التي هي عليها، لأن "جبهة التحرير" هي جبهة شعبية. وفي هذا، دعوة لكل الجماهير الشعبية بكل أطيافها ومستوياتها، للانخراط في الثورة كل من موقعه، وهي في الوقت نفسه، تحذير بعدم التسامح مع من بقوا على مواقف الحياد، أو مع من لا يزالون على علاقة بالإدارة الاستعمارية. ولما كانت الثورة في البداية (قبل انعقاد مؤتمر الصومام)، تفتقد لجهاز تنظيمي موحد يقود معركة التحرير الوطني، فقد تركت المبادرة لقادة المناطق والنواحي(ANOM, GGA, 1958)، لتقدير ما يمكن القيام بما تسمح به تبعا الظروف المحيطة بهم.

وقد اتجه اهتمام قيادة المنطقة الثانية في الأشهر الأولى من عمر الثورة، إلى الاعتماد على الريف (للطبيعة الريفية للمنطقة كما سبقت الإشارة إليه، وإلى تحرر الريف ولو بشكل نسبي على الأقل، من مراقبة الأجهزة الأمنية الاستعمارية)، وهذا على الرغم مما كان يطرحه الريف من صعوبات بسبب الطبيعة القبلية المعقدة لمجتمع الريف التي لا تزال تتحكم فيه، والتي أقل ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد، مسألة الخصومات بين القبائل (وهي عادة متأصلة في المجتمعات القبلية) سواء بسبب خلافاتها القديمة، أو بسبب التفاخر بالأنساب. غير أن تحمل مشاق الريف، كان أقل مغامرة من الاعتماد على المدينة في بداية الثورة، بسبب سيطرة الأجهزة الأمنية للمستعمر وأعوانه، من بوليس، وعملاء من الموظفين ومن القياد وغيرهم، لذلك كانت أولوية العمل، تتطلب تأجيل الارتكاز على المدينة لحين الانتهاء من تنظيم الريف.

وهكذا، وابتداء من فيفري 1955، اعتمدت قيادة المنطقة الثانية، نظام الخلايا في الأرياف والقرى، فكان يتم إرسال جندي إلى كل قرية وكل دشرة، للاجتماع بسكانها بقصد شرح مبادئ وأهداف الثورة، والاستماع لآرائهم. كانت هذه الاجتماعات، تجرى في ظروف عالية من الحيطة والحذر، وكان ذلك يدوم ليوم أو لثلاثة أيام، وعندما تتضح الرؤية لموفد الثورة، يتم اختيار أكثر العناصر إخلاصا واستعدادا للعمل، لتشكيل الخلية التي تتولى مهام، تنظيم العمل الثوري بالدوار أو المشتة. وبعد أن يؤدي أعضاؤها اليمين والقسم على المصحف الشريف، تصبح الخلية، هي المسؤول الأول عن جميع القضايا التنظيمية والتنفيذية بالقرية أو المشتة والدشرة، وهي التجربة التي استلهمتها الثورة، من تنظيم حزب الشعب[25] خلال فترة نضال الحركة الوطنية. ففي الجهة الغربية من المنطقة الثانية مثلا، تم تكوين ثلاث أفواج، وزعوا بحسب معرفتهم للمناطق: منطقة الميلية حتى مدينة جيجل وضواحيها، أسندت إلى المدعو مسعود الطاهيري، منطقة ميلة، أسندت إلى العربي الميلي (برجم)، ومنطقة سكيكدة حتى القل وضواحيها، فأسندت إلى مسعود بوعلي ومحمد لحمر بن ساسي بمساعدة سعد بوصيادة (المدعو بوالبويون).

وقد تركز العمل في هذه الفترة، على العمل الدعائي في الأرياف، وإجبار المعمرين على إخلاء مزارهم، واللجوء إلى عواصم المدن. أما الخونة والجواسيس من الجزائريين، فمن لم يتعظ ويتوب، فقد لاقى حكم "النظام" فيه، وتم إعدامهم.(المجاهد، 1957، صفحة 03)، أما في الأرياف، فقد طالبت بعدم التعامل مع "العدو"، وتسوية قضاياهم داخل قراهم ومداشرهم ودواويرهم. كما اعتمدت جبهة التحرير أيضا وكإجراء ردعي، على معاقبة كل من يثبت تعاونه مع المستعمر، فكانت مجموعات تصغيرة (تكون في الغالب من 2 إلى 3 أشخاص) تجوب المناطق لشرح "النظام" وتصفية الريف من العناصر المشبوهة، حتى يصبح عمل الثورة، عملا مأمونا(الجنيدي و آخرون، 1986، صفحة 251) و(مجموعة مؤلفين، صفحة 56). كما انقلبت حملات التشهير التي قادتها الصحافة الكولونيالية ضد الثوار، إلى عمل ترويجي لنشاط أفراد جيش التحرير الوطني.(CDEF, p. 12).

من جهة أخرى، عززت الطبيعة العدائية للجزائريين، الجهد الدعائي الذي قامت به خلايا الثورة في هذه المناطق، مما كان له الأثر الواضح في تحقيق نتائج كبيرة في وقت مبكر جدا. وهو ما يؤكده التقرير الذي أعده المكتب الثاني لهيئة أركان الناحية العسكرية العاشرة لفرنسا (الجزائر) الذي حمل عنوان " ملخص معلومات لشهر نوفمبر 1954"، من أن: " الحركة الإرهابية المعممة، أدت إلى انضمام عدد كبير من دواوير الأوراس إليها بداية من تاريخ 11 نوفمبر 1954. وقد بدا ذلك من خلال: الدعم، التمويل، المراقبة والتعاطف الذي أبداه سكان المنطقة تجاهها". ورغم هذا الاعتراف، إلا أن هذا التقرير، كان يرى – أو هكذا كان يمني أصحابه أنفسهم – أن هذا التعاطف ظرفي، وسوف يهتز بمجرد بروز بوادر انشقاق داخل هذه الحركة.(ليلى ، 2014-2015، صفحة 165، 170، 173).

ورغم العمليات العسكرية الواسعة البرية والجوية التي شنتها القوات الاستعمارية في مناطق الشرق الجزائري والأوراس تحديدا، بداية من 12 نوفمبر 1954 (في محاولة للقضاء على الثورة في مهدها)، والتي رافقها إلقاء(نجاة ، 2014-2015، صفحة 97) حوالي 5000 منشور على دواوير وسط الأوراس(واد لبيض، وواد عبدي خاصة) مكتوبة بالعرب والفرنسية

والأمازيغية، تطلب من السكان، التزام الهدوء "والتخلي عن العصاة"(ليلى ، 2014-2015، صفحة 97)، واللجوء إلى قرى أخرى آمنة إلا أن التقرير نفسه، يعترف أنه لم يلتحق بمناطق الآمان هذه، من دوار إشمول مثلا، سوى 280 عائلة من مجموع 1000 عائلة، وأن أغلب الملتحقين بها، كانوا من الشيوخ والأطفال.(ليلى ، 2014-2015، صفحة 176).

إن نتائج بهذا المستوى وفي أيام قليلة من اندلا ع الثورة، لهو دليل على أن قادة الثورة قد استوعبوا، الأهداف القصوى لبيان أول نوفمبر 1954 التي تدعو إلى إحداث قطيعة نهائية بين الشعب الجزائري والإدارة الاستعمارية، وأن هذه القطيعة، هي الآداة الرئيسة لاستعادة السيادة الوطنية، وتحقيق الاستقلال الوطني، لأنه بدون هذه القطيعة، لن تستطيع الثورة استعادة الجماهير الشعبية من قبضة الإدارة الاستعمارية، (الجماهير الشعبية) التي تمثل الأساس في الانقلاب على المستعمر، ووضح بيان أول نوفمبر، طبيعة الثورة وأهدافها ووسائلها " إن جبهة التحرير الوطني هي المنظمة الوحيدة للشعب الجزائري في حرب الاستقلال. وفي نفس الوقت الذي تقوم فيه بالكفاح التحريري، فإن جبهة التحرير الوطني تقود ثورة، وهدفها هو محو النظام الاستعماري، وبعث الدولة الجزائرية ذات السيادة وبناء جمهورية ديمقراطية. وفي هذا الكفاح، تعتبر جبهة التحرير الوطني مرشد الشعب ومحرك الكفاح (...) تقوم جبهة التحرير بالكفاح المسلح بفضل جيش التحرير الوطني، وهو يستمد قواه من طاقة الشعب".(نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطني (1954- 1962)، 1976، صفحة 55)

وقد وفرت تجربة حزب الشعب الجزائري- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية- للثورة الكثير من الجهد والوقت، على المستويين التنظيمي والعملي (التنظيم الهيكلي للحزب والمنظمة الخاصة بين 1937و1950) سواء أثناء التحضير لعمليات أول نوفمبر 1954 أو ما بعدها، بفضل القاعدة النضالية لحزب الشعب- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سواء المناضلون الذين كانوا لطبيعة تكوينهم ولتوجهات الحزب (الاستقلالية)، على استعداد للعمل الثوري ولكن لم يتم الاتصال بهم قبل الثورة، أو المناضلون الذين كانوا على خط الحياد قبيل الثورة وبعدها، فأجبرتهم ضغوط وملاحقات الإدارة الاستعمارية، على الانخراط في الثورة، ومنهم تشكلت في المدن، خلايا لتزويد الثورة بكل ما تحتاجه.(علي ، صفحة 72).

وقد اتجهت قيادة المنطقة الثانية -كما سبقت الإشارة إليه- إلى تنظيم الريف والاعتماد عليه كقاعدة لعملياتها باعتبار الريف قاعدة طبيعية لحرب العصابات، على الرغم من المشاق التي يخلقها هذا الريف، بسبب الطبيعة القبلية المعقدة التي تتحكم فيه، والتي أقل ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد، مسألة الخصومات بين القبائل(علي ، صفحة 75)(وهي عادة متأصلة في المجتمعات القبلية) سواء بسبب خلافاتها القديمة أو بسبب التفاخر بالأنساب. غير أن تحمل مشاق الريف، كان أقل مغامرة من الاعتماد على المدينة في بداية الثورة، بسبب سيطرة الأجهزة الأمنية وأعوانها من بوليس وعملاء من الموظفين ومن القياد وغيرهم، لذلك كانت أولوية العمل تتطلب تأجيل الاعتماد على المدينة لحين الإنهاء من الريف.(علي ، صفحة 75).

اعتمدت الثورة في أشهرها الأولى، على "تنظيم الخلايا" في الأرياف والقرى. فكانت ترسل جنديا إلى كل قرية وكل دشرة للاجتماع بسكانها لشرح مبادئ وأهداف الثورة والاستماع لآرائهم. وكانت هذه الاجتماعات، تجري في ظروف عالية من الحيطة والحذر، وكان ذلك يدوم ليوم أو لثلاثة أيام. وعندما تتضح الرؤية لموفد الثورة، يتم اختيار أكثر العناصر إخلاصا واستعدادا للعمل، لتشكيل الخلية التي تتولى مهام تنظيم العمل الثوري بالدوار أو المشتة. وبعد أن يؤدي أعضاؤها

اليمين على المصحف الشريف، تصبح الخلية هي المسؤولة الأولى عن جميع القضايا التنظيمية والتنفيذية بالقرية أو بالدشرة، وهي ذات الطريقة التي كان عليها تنظيم حزب الشعب سابقا.(علي ، صفحة 75)، كانت هذه النشاطات، تجري بسرعة وفي سرية بالغة، خشية الوقوع في أيدي الأجهزة الأمنية الاستعمارية. وكان أفراد جبهة التحرير الوطني، لا يقومون بنشاطات التعبئة، إلا ليلا، وينزلون عند أعيان المشاتي والدواوير دون سابق إعلام.(علاوة ، 2008-2009، صفحة 57).

وقد حرصت الثورة في البداية، على مخاطبة سكان المداشر والأرياف، بلغة يغلب عليها الخطاب الديني، حتى يسهل عليها الوصول إلى قلوب وعقول السكان (الذين تهيمن عليهم الثقافة الدينية الإسلامية). من ذلك مثلا، أن اللقاءات كانت تبدأ بتحية المجاهد للسكان بـ " السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته" ويكون جواب السكان:" الله ينصر الدين". كما كانت الحوارات، تفتتح بعبارة :" باسم الله والحمد لله، ثم باسم جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني"(الجنيدي و آخرون، 1986، صفحة 250)، لتأكيد الترابط بين هدف الثورة التحريرية والجهاد في سبيل الله. كما لجأ المكلفون بمهام التعبئة والتجنيد، إلى استعراض بعض الأسلحة التي أمكن الحصول عليها، أمام سكان الدواوير والمشاتي بغية إظهار الثورة بمظهر القادر على مواجهة المستعمر المدجج بالأسلحة.(علاوة ، 2008-2009، صفحة 57).

مما أدى إلى تسارع وتيرة انضمام الجماهير الشعبية والتفافهم حول الثورة، خاصة بعد هجومات الـ 20 أوت 1955 بالشمال القسنطيني.

3 – تجربة المجالس الشعبية في المنطقة الثانية:

بعد هجومات الـ 20 أوت 1955، وفي الاجتماع الذي عقده قائد المنطقة زيغود يوسف في الفاتح نوفمبر 1955 بمنطقة بني صبيح (غرب مدينة سكيكدة) لتقييم نتائج الهجومات وكذا لوضع إستراتيجية للعمل الثوري للفترة المقبلة، تم تبني تجربة "المجالس الشعبية" والتي وإن لم تكن بالجديدة وسبق لحزب الشعب أن طبقها في تنظيم هياكل الحزب، إلا أنها تعد جديدة في عمر الثورة حتى هذا التاريخ، وكانت أول هيكلة لتنظيم الجماهير الشعبية وتعبئتها. وقد استوحى لاحقا مؤتمر الصومام في أوت 1956، نظامه الوطني من تجربة المنطقة الثانية، وعممه على كامل التراب الوطني.(علي ، الصفحات 94-95).

ومن المهم جدا، استعراض هذه التجربة التنظيمية المهمة، كونها ساعدت الثورة من وضع أرجلها على الأرض في هذه المرحلة الحرجة، التي لم تكن تملك فيها (الثورة)، إستراتيجية واضحة لإدارة المعركة مع الاستعمار الفرنسي. تكونت هذه المجالس البلدية، من:(علي ، صفحة 95).

1–مسؤول المجلس الذي يقوم بـ:

- السهر على تنفيذ تعليمات وتوجيهات القيادة وتطبيق قرارات المجلس البلدي الذي يشرف عليه.
- التنسيق بين جميع أعضاء المجلس البلدي.

2–مسؤول المالية: ويقوم بـ:

- بجرد ع الاشتراكات والتبرعات التي يستلمها من مسؤولي المشاتي والدواوير والقرى، ويقدم تقارير شهرية بحصيلة عمله.
- تسديد نفقات الهياكل النظامية.
- صرح منح أسر الشهداء وعائلات المجاهدين المنكوبين، وبعض الأسر المعوزة، وتم ذلك بواسطة مسؤول المشاتي والقرى.

3-مسؤول الدعاية، ويقوم بـ:

- جمع وتنظيم مراكز البريد
- جمع المعلومات وتبليغها للقيادة
- تنظيم شبكة الاستعلامات داخل القرى والدواوير، ومراقبة تحركات العدو
- إحصاء عدد الشهداء والمساجين في سجون العدو، وجرد وتوثيق أعمال القمع التي يقوم بها العدو
- إحصاء المجندين في صفوف الجيش الفرنسي وكشف هوياتهم، ورصد المتجبرين منهم لتصفيتهم

4-مسؤول الأمن الذي يقوم بـ :

- الإشراف على جهاز الشرطة وعلى تحديد المناطق الملائمة لتمركز جيش التحرير الوطني
- تنظيم عمليات تنقل السكان، وتحديد المسالك الخاصة بأفراد جيش التحرير وقوافل تموينه
- تنظيم ومراقبة الحراسة الشعبية، ومساعدة مسؤولي المشاتي

5-مسؤول التموين، ويشرف على:

- جمع وتخزين المؤن وتنظيم عمليات توزيعها على مراكز جيش التحرير
- جرد لجميع ممتلكات الثورة من حبوب ومواد غذائية وحيوانات

6- مسؤول الدشرة أو المشتة، وهو الحجر الأساس في عمل المجالس الشعبي، إذ يقوم بـ:

- جمع الاشتراكات والزكاوات والتبرعات، من المواطنين
- تنظيم الحراسة الشعبية
- تبليغ كل الأخبار والمعلومات لأعضاء المجلس الشعبي
- مراقبة نشاط الخونة ومراقبة تحركات العدو
- استقبال أفراد جيش التحرير وتأمين الأكل والمأوى لهم
- توزيع المنح على أسر الشهداء والمجاهدين
- تسجيل الحالة المدنية (مواليد، زواج، طلاق، وفيات)
- تسوية النزاعات بين المواطنين عن طريق الصلح والقضاء

إن النتائج السريعة التي حققتها الثورة في الأشهر الأولى من جهة، وفشل الإجراءات القمعية العسكرية والدعائية في القضاء على الثورة، هي من دفعت بالإدارة الاستعمارية في الجزائر، إلى إعادة النظر في سياستها الإدارية اعتقادا منها، أن

السكان أرغموا على مساندة الثورة تحت الإكراه والتهديد(نجاة ، 2014-2015، صفحة 113)، لهذا سارع الحاكم العام روجي ليونار (Roger Léonard) في بداية 1955 وقبل تنحيته، إلى محاولة توطين نظام إداري جديد، يقوم على إنشاء " وحدات إدارية متقدمة" لمراقبة وإدارة الدواوير والمشاتي التي تعرف نشاطا متزايدا لجيش التحرير الوطني. وقد تم تدعيم هذه الوحدات، بعدد من موظفي البلديات المختلطة، وضباط الجيش الفرنسي(نجاة ، 2014-2015، الصفحات 113-114). وهي الإستراتيجية التي سار عليها خليفة ليونار، الجنرال جاك سوستيل (Jacques Soustelle) الذي أعاد بعث تجربة المكاتب العربية في طابع جديد

4- "الأقسام الإدارية المتخصصة"(S.A.S) لمواجهة تمدد الثورة:

الجنرال جاك سوستيل 1955 الذي استقدمه رئيس الوزراء مانديس فرانس (P. Mendès France) على عجل من أجل القيام بما لم يستطع سابقه ليونار القيام به، ومنحه صلاحيات واسعة للقضاء على الثورة " إن الحكومة (الفرنسية) تضع كامل ثقتها فيك وفي أفكارك وعملك"(نجاة ، 2014-2015، صفحة 105)، أدرك سريعا أن الجهد الأول يجب أن يركز على استعادة سلطة إدارته على السكان.

ولانجاح هذه المهمة، قام بعد استلامه مهامه مباشرة كحاكم عام في الـ 15 فبراير، بجولة استطلاعية لكامل مناطق الاوراس: باتنة، بسكرة، خنشلة، وتبسة. ومما استنتجه سوستيل، هو عزلة السكان، وغياب الإدارة الاستعمارية فيها. وأوعز حسب رأيه أن دعم السكان ومساندتهم للثورة، ناتج عن العزلة والحرمان اللذين يعانيهما السكان، وحمل إدارته المسؤولية، وانتقد عجزها وافتقارها للمعلومات الدقيقة عن السكان.(نجاة ، 2014-2015، صفحة 108).

وبعد انتهاء القوات الفرنسية من حملة الإبادة التي باشرتها في حق الأهالي العزل في القرى والأرياف والمداشر، قررت الإدارة الاستعمارية في الـ 26 سبتمبر 1955، إنشاء الأقسام الإدارية المتخصصة في كافة الأرياف بكامل القطر الجزائري، توكل لها مهمة إدارة وتسيير شؤون الأهالي(عقيلة ، 2013، صفحة 233)، في محاولة للحيلولة دون توسع الثورة الجزائرية، وانخراط فئات واسعة من الشعب الجزائري في الثورة. وهي نفس المهمة التي أنشئت من أجلها، المكاتب العربية في أواخر النصف الأول من القرن التاسع عشر، لمواجهة توسع دائرة الانتفاضات الشعبية المسلحة. وقد كلف الجنرال بارلانج (Parlange) الذي كان رهينة لأسلوب عمل"المكاتبالعربية"بإدارة الأقسام الإدارية المتخصصة.(شارل، 1982، صفحة 163).

أول ظهور للفصائل الإدارية المتخصصة في الجزائر، كان في أواخر سنة 1955، بالأوراس وترأسها الجنرال بارلانج الذي عين على رأس القيادة المدنية والعسكرية لمنطقة الأوراس بموجب المرسوم الوزاري المؤرخ في الـ 30 أفريل 1955، وباشر مهامه ابتداءا من الـ 07 ماي من نفس السنة(بوبكر، 2011، الصفحات 210-211)، لتعمم لاحقا على باقي المناطق إلى أن وصل تعدادها في سنة 1961، إلى سبعمائة وأربعين قسما (740)..(Khaled , 2005, p. 29)

وكان الجنرال بارلانج قائد القسم العسكري القسنطيني، قد حذر في التقرير المؤرخ في الـ 05 مارس 1956 الذي قدمه إلى قيادته العسكرية، من خطورة تمدد الثورة على مستقبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر خاصة في الجهة

الشرقية، وألح على ضرورة توسيع تجربة الفصائل الإدارية المتخصصة التي سبق استعمالها في المغرب الأقصى وأثبتت نجاعتها.(المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ، صفحة 297).

ومما جاء في تقرير بارلانج:(المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ، صفحة 295).

- التنظيم الجيد " للعصابات المسلحة"
- تهديم كل ما يرمز للوجود الاستعماري
- زيادة الضغط الممارس من طرف الثوار، على السكان في المجالين النفسي والسياسي
- خيانة العديد من القياد والمنتخبين للإدارة الاستعمارية
- ارتفاع نسبة الفارين لجزائريين من الجيش الفرنسي، إذ ارتفع عددهم مثلا في الأوراس النمامشة من 17 حالة في شهر ديسمبر 1955 إلى 18 حالة في جانفي 1956 ليصل إلى 65 حالة فرار في فيفري 1956.

وقد قادت هذه النتائج بارلانج، إلى تسريع نشر الفصائل الإدارية المتخصصة لتشمل كافة التراب الجزائري، إذ ارتفع عددها من 160 في بداية 1956 إلى 568 في نوفمبر 1957و679 في جانفي 1958، ليقفز الرقم إلى 740 في سنة 1961.(المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية ، صفحة 298) و(Khaled , 2005, p. 29).

خاتمة

وهكذا ومما تقدم يمكن القول، أن تجربة تنظيم وتعبئة الجماهير الشعبية، ودمجها في الثورة التي تبناها زيغود يوسف منذ بداية الثورة، أعطت للشمال القسنطيني حالة من التنظيم والاستفرار، سمحت له انطلاقا من موقعه كحلقة ربط بين مختلف مناطق الوطن، من القيام بأعباء الثورة. وقدساهم هذا الجهد بشكل كبير في انجاح هجومات الشمال القسنطيني(20 أوت 1955) التي جاءت لفك الخناق المضروب على المنطقة الأولى الأوراس، وكذا وهو الأهم للزج بالجماهير الشعبية في الثورة بشكل مباشر، وهو ما أدى إلى القطيعة النهائية مع الإدارة الاستعمارية الفرنسية، وأعطت للثورة بعدها الثوري الشعبي. ورغم القمع الذي تلى هجومات 20 أوت 1955، إلا أن تجربة التعبئة والتجنيد للجماهير الشعبية، مكنت قيادة الشمال القسنطيني من تنظيم الجماهير في مختلف تنظيمات وهياكل الثورة على أسس تنظيمية محددة. وهي التجربة التي قد نجحت تجربة الخلايا الثورية والمجالس الشعبية، في توسيع نشاط الثورة إلى كل قرى ومداشر المال القسنطيني، وقد أدت النتائج الكبيرة التي حققتها تجربة المجالس الشعبية، إلى تبني مؤتمر الصومام(20 أوت 1956) لهذه التجربة، وعممت على باقي التراب الوطني.

المراجع:

1. المجاهد.(13) .(01 12 ,1957) .
2. *نصوص أساسية لجبهة التحرير الوطني* .(1976) .*(1962 -1954)*منشورات وزارة الإعلام والثقافة.
3. أحسن ,بومالي .(s.d.) .*إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1956 -1954م* .الجزائر :منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.

4. الجنيدي& ,آخرون .(1986) .*حوار حول الثورة، ج .1*المركز الوطني للتوثيق والصحافة والإعلام.الجزائر : المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
5. المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية .(s.d.) .*إستراتيجية العدو الفرنسي لتصفية الثورة الجزائرية، طبعة خاصة لوزارة المجاهدين*.الجزائر :منشورات المركز.
6. آمال ,شلي .(2006-2005) .*التنظيم العسكري في الثورة التحريرية الجزائرية .1962-1954*مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ,جامعة الحاج لخضر ,باتنة.
7. بوبكر ,حفظ الله .(2011)ديسمبر .(إستراتيجية الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة في الأوراس من خلال تقرير الجنرال بارلانج .*مجلة الآداب والعلوم الإنسانية* .(07)
8. جوان ,جيلسي .(1996) .*ثورة الجزائر*) .ت .ع .طالب (.Trad ,مصر :الدار المصرية للتأليف والترجمة.
9. رابح ,لعلي .(2012) .*مذكرات مجاهد في جيش التحرير الوطني بالولاية الثانية*) .ت .ج .مسعود (.Trad , الجزائر :دار القصبة.
10. شارل ,أندري جوليان .(1982) .*تاريخ الجزائر المعاصر، الطبعة الأولى*) .ت .ع .عصفور (.Trad ,باريس : منشورات عويدات، بيروت.
11. عبد الحميد ,عوادي .(1993) .*القاعدة الشرقية أصولها، تنظيمها، دورها وتطورها*.الجزائر :دار الهدى -عين مليلة.
12. عقيلة ,ضيف الله .(2013) .*التنظيم السياسي والإداري للثورة .1962 -1954*الجزائر :البصائر الجديدة للنشر والتوزيع.
13. علاوة ,بلعيد .(2009-2008) .*الإستراتيجية العسكرية لحرب التحرير .1962 -1954*مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية ,جامعة بن خدة بن يوسف ,الجزائر.
14. علي ,كافي .(s.d.) .*مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري -1946 1962*.الجزائر :دار القصبة.
15. ليلى ,تيتة .(2015-2014) .منطقة الأوراس في تقارير الجنرال بول شاريير (Paul Charrière)من خلال كتاب شارل جوفير (Jean- Charles Jauffert): La guerre d'Algérie par les documents: les portes de la guerre، العددان .-17*مجلة الإحياء*.(18-17)
16. مجموعة مؤلفين .(s.d.) .*الإعلام ومهامه أثناء الثورة*.المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954.
17. نجاة ,بية .(2015-2014) .*إستراتيجية الثورة في التصدي للمصالح الإدارية المتخصصة -1955 (S.A.S) 1962*.دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر ,المدرسة العليا للأساتذة -بوزريعة، ,الجزائر.

18. Le Général à la retraite, Khaled Nezzar, L'armée de libération national et l'armée française, le heurt de deux stratégies, in actes du forum international sur les origines et l'évolution de l'armée de libération national (07 2-3-4, 2005).
19. ANOM, GGA. (1958, 04 10). 3R434 (note de renseignements (sous une note secrète): le service de renseignement et de liaison du FLN.
20. CDEF. (s.d.). *Centre de Doctrine d'Emploi des Forces.*